(٣)

حديث مع مواطن معروف جدًا*

كلنا نتحدث عن العامل الحرفى المستقل: السباك، والنجار، والمبلط، والميكانيكى. ومن إليهم . كلنا نستكثر عليهم الأرباح والأجور. ولكن هل فكرت فى أن تجلس إلى واحد من هؤلاء وتتحدث معه كصديق أو مواطن؟

أعتقد أن الكثيرين منا لا يتبينون خطورة الانفجار السكانى الذى نعانيه فى مصر الآن. كلنا - والمسئولون على رأسنا - سلمنا بأنها كارثة حلت بنا ولا نستطيع حيالها شيئًا.

ولا نملك إلا أن ندعها تسير كما هى، وليكن ما يكون.

ومن ثلاثة أسابيع رأيت بعينى رأسى هول الكارثة: مررنا بمولد فى إمبابة. وأردت أن أجوس خلال الناس لأشاركهم احتفالهم بمولد شيخهم، فما كدت أدخل فى الجمع حتى وجدتنى وسط بحر متلاطم- حرفيا - من العيال. لم أر امرأة واحدة ألا تحمل على كتفها طفلا وتجر بيدها طفلا. وثالثا يتشبث بجلبابها. وخلف النسوان والعيال يسير الرجال. كلهم يضحكون كأنهم - أو لأنهم - بلهاء، والواحد منهم لا يكف عن إعطاء امرأته أطرافا من المال لتشترى للعيال بطاطة أو ترمس أو سندويتش، والأطفال كأنهم ماكينات تقضم وتمضغ وتبلع وتطلب المزيد.

وآخذ مكانا فى مقهى ليس فيه شىء محترم، وإلى جانبى تجلس على الأرض امرأتان يحوم حولهما نحو سبعة من العيال، وإحدى المرأتين أتت معها بحلة محشى، والأسرتان ضربتا أيديهما فى الطعام وحلة المحشى أصبحت فراغا والأولاد يأكلون فى نهم، والنساء يتسابقن فى الأكل

---

* نشرت هذه المقالة فى ٢٦ أكتوبر ١٩٨٦م .